أبو طالب عليه السلام

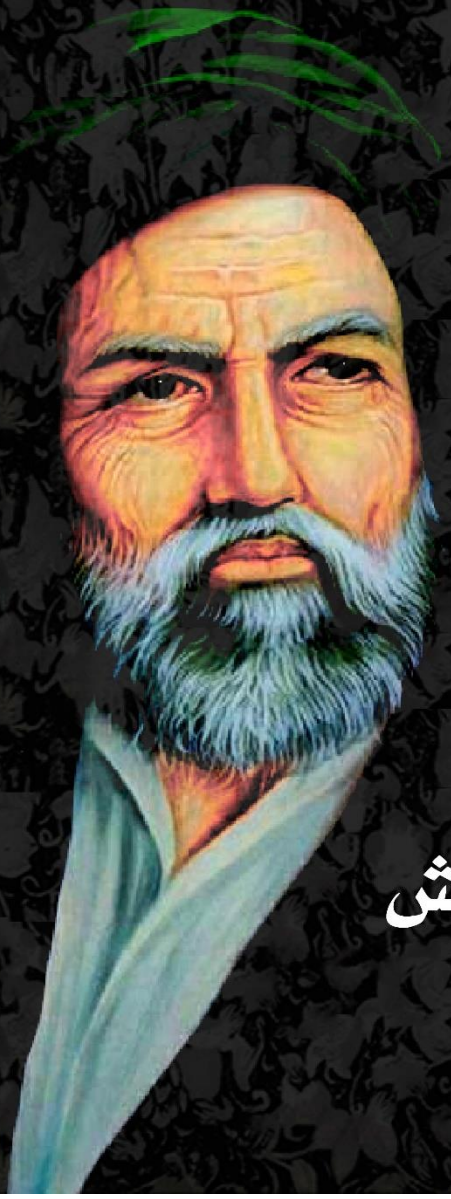

بقلم:
الشيخ حسين العايش

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين..

جسّد أبوطالب عليه السلام الجهاد في سبيل الله تعالى على أصعدة مختلفة، ولعل من أهم تلك الأصعدة:

◆ الأول | الإعلامي :

الذي يثبت فيه حقانية الدعوة الإسلامية وصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه نبي يتلقى الوحي من عند الله تعالى كموسى وعيسى عليهما السلام، وهو مبعوث لإيصال الإنسانية جمعاء إلى كمالها.

وقال عليه السلام في شعره الرائق العذب:

ودعوتني وعرفتُ أنك ناصحي	ولقد صدقت، وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه	من خير أديان البرية دينا

يبين في هذين البيتين أن انطلاقه في الدعوة إلى الدين يبتني على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ناصح لكل من يدعوه إلى الإسلام، وهو الصادق الأمين، وأن دينه صلى الله عليه وآله وسلم هو خير دين جاء به الوحي إلى أمة من الأمم،

بمعنى أن هذا الدين وهو الإسلام يشتمل على خيري الدنيا والآخرة، ويسترسل عليه السلام في بعض أبياته فيقول:

تَعَلّم خيارَ الناس أن محمداً وزيرٌ لموسى والمسيح بن مريم

وهو عليه السلام يؤكد في هذا البيت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كموسى وعيسى يستمد دعوته من عند الله تعالى، وأن على خير الناس أن يؤمنوا بهذه الدعوة الصادقة الحقة، لمعرفة خير الناس بصدق موسى وبراهين ومعاجز عيسى عليهما السلام.

وقال عليه السلام:

ألا أن خيرَ الناسِ أمّاً ووالداً إذا عُدَّ ساداتُ البريةِ أحمدُ
نبيٌّ إلهي والكريمُ بأصلهِ وأخلاقِه وهو الرشيدُ المؤيّدُ
حزيمٌ على جلّى الأمورِ كأنهُ شهابٌ بكفّي قابسٍ يتوقّدُ

يوضح عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاهر الأعراق، وهو بذلك يمهّد لمن يريد أن يؤمن بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطلق في دعوته من خلال منقصة يريد أن يرفع بها شأنه، لأنه زكي في نسبه، محتد الشرف في أعراقه، وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيد البرية لاحتوائه على شمائل أعراقه، ومكارم إرثه،

ويرتب على ذلك أن نبوته ﷺ هي من عند الله، لكونه الكريم الأصل، ولا يتصف بكونه نزغاً، بل هو الرشيد المؤيَّد من عند الله، ويكمل عليه السلام هذا الوصف الرائع للنبي من أجل جلب الناس إلى دينه ﷺ بوصفه بالحزم، بل بالوضوح في الدلالة على رسالته وصدق ما جاء به من دين، وكأنه في ظهوره شهاب يتوقد بكفي قابس.

وقال عليه السلام:

ألمْ تعلموا إنّا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خُطّ في أولِ الكُتبِ
وأن عليه في العبادِ محبّةٌ ولا حيفَ فيمن خصّه اللهُ بالحبِّ

يظهر عليه السلام بذلك أمراً أفصح عنه الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ الأعراف: آية ١٥٧، بمعنى أن نبوته ﷺ بشر بها الأنبياء، بل أخذت كعهد عليهم أن يؤمنوا به، وأن يصدقوه ويعزروه، ويضيف عليه السلام على ذلك دلالة لأولى النهى، هي وجود محبة للنبي ﷺ لمن نقت سريرته، وحسنت سيرته، لأن الله تعالى خصه بالحب، وقد جاء هذا المعنى في حق موسى عليه السلام،

قال تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) طه: آية ٣٩، ولعله عليه السلام يريد أن يدلل بذلك على صدق دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كصدق دعوة موسى .

وقال عليه السلام:

لقد أكرمَ اللّهُ النبيّ محمداً فأكرم خلقِ اللّهِ في الناسِ أحمدُ
وشقَّ له من إسمه ليجلّه فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

وهو عليه السلام يبين هنا مسألة عقدية، ذات أهمية فائقة، هي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أكرم الخلق بنحو من الاصطفاء الإلهي، الذي لا يضاهيه اصطفاء آخر يماثله، ويدلل على ذلك بظهور من خلال اشتقاق اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (محمد)، بمعنى الكامل في محامده، والبيتان برهان على صدق دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان لمرتبته عند الله تعالى، بقربه منه عزّ وجلّ الذي أفصح عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) النجم: الآيتان ٨-٩

وقال عليه السلام:

ظهرت دلائـــلُ نورهِ فتزلزلت منها البسيـطةُ وازدهت أيامُ
وهوت عروشُ الكفرِ عند ظهورهِ وبسيـــفهِ سيشيّدُ الاسلامُ
وأتاهم أمر عظيـــمٌ فادحٌ وتساقطت من حولهِ الاصنامُ

صلى عليكَ الله خلاّق الورى ما أعقب الصبحُ المضيءُ ظلامُ

يؤكد عليه السلام في هذه الأبيات أن نبوة المصطفى مقرونة بالدلائل التي تهز عالم الوجود بأكمله، بل أن هذه الدعوة تحمل في طياتها الحق كله، ولهذا لم يقف باطلٌ بوجهها، وستسقط أصنام الشرك، ثم يختم الدعوة بالصلاة الدائمة عليه، والصلاة هنا بمعنى الطلب من عند الله تعالى بنشر دعوته وإظهارها للخلق.

وقال عليه السلام:

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق عزم لا تكن حمز كافرا
فقد سرني إذ قلت: إنك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا
وباد قريشا بالذي قد أتيته جهارا وقل: ما كان أحمد ساحرا

يدعو هنا الحمزة عليه السلام الذي استجاب له بقبوله للإسلام أولاً إلى الصبر، وثانياً إلى إظهار الدين، ويدعو الله تعالى أن يوفق الحمزة عليه السلام أن يكون صابراً، وبعد ذلك يدعوه إلى حياطة النبي لكونه صلى الله عليه وآله وسلم الصادع بالحق، ومن ثمَّ يفصح عن مكنونه بمسرته بإيمان الحمزة، ثم يوجه إرشاداً إليه بأن ينطلق في دعوته إلى الإسلام من خلال

الإخلاص لله، وليس من خلال العصبية القبلية (فكن لرسول الله في الله ناصراً)، ثم يختم بأمره بإظهار الدعوة لقريش والإجهار بها لسائر الناس، والإبانة بأن النبي ﷺ لم يكُ ساحراً.

وقال عليه السلام:

وهو يحض ابنه (طالب) على نصرة النبي ﷺ :

أبنيَّ طالبُ إن شيخَكَ ناصحٌ ... فيما يقولُ مسددٌ لكَ راتقُ
فاضربْ بسيفِكَ من أرادَ مساءَة ... حتى تكونَ له المنية ذائقُ
هذا رجائي فيكَ بعد منيتي ... لا زلتُ فيكَ بكلِ رُشدٍ واثقُ
فاعضدْ قواهُ يا بنيَّ وكُن له ... أنّى يجدكَ لا محالةَ لاحقُ
كهلاً أردُّ حسرةً لفراقهِ ... إذ لا أراهُ وقد تطاولَ باسقُ
أترى أراهُ واللواءُ أمامَه ... وعليٌّ ابني للواءِ معانقُ
أتراهُ يشفعُ لي ويرحمُ عبرتي ... هيهاتَ إني لا محالةَ زاهقُ

والأبيات فيها من الحض والحث على الدفاع عن النبي ﷺ ، والذود عن دعوته، وأن الله تعالى سينصره، بل يبين عليه السلام مقام الشفاعة للنبي ﷺ ، ويفصح عن موته قبل أن يخفق اللواء أمام

النبي ﷺ ليدلل بذلك على علمه بمجريات الأمور في المستقبل من خلال الوصايا التي تلقاها عن آبائه وأجداده عليهم السلام.

◆ الثاني | الحفاظ على شخصية النبي ﷺ :

إذ كان يعلم أن النبي ﷺ مستهدف من أكثر من طرف، ومن أعظم الأطراف التي تريد القضاء على شخصيته ﷺ القرشيون واليهود وأصحاب المصالح، الذين تتنافى مصالحهم مع رسالة الإسلام التي تجسد العدالة الإنسانية، ولهذا سخّر أبوطالب عليه السلام كل إمكانياته من أجل الحفاظ على النبي ﷺ ، بل مارس دوراً هاماً في إرهاب من يناوئ النبي لئلا يتعدى على شخصيته ﷺ ، وقد نجح في هذا المجال نجاحاً باهراً، و تحقق له ما أراد، فحُفظ النبي ﷺ ، واستطاع أن يبلغ الرسالة متكئاً على دعامة عمه عليه السلام.

وقال عليه السلام:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقُر بذاك منك عيونا

يُقسم عليه السلام أن قريشاً لن تصل اليه بسوء مهما أعدت وجمعت من عدة وعتاد، إلا إذا مات ودفن، وهو تعبير دقيق عن أنه سيفدّيه بنفسه، ثم يردف ذلك بقوله له صلى الله عليه وآله وسلم بأن يصدع بأمره مطمئناً في نفسه مرتاحاً في باله لا غضاضة عليه، بل يكون قرير العين.

وقال عليه السلام:

اصبرن يا بني فالصبرُ أحجى ... كل حيٍّ مصيـرُه لشعوبِ
قد بذلنـــاكَ والبلاءُ شديدٌ ... لفداءِ الحبيبِ وابن الحبيبِ
لفداءِ الأغـرِّ ذي الحسبِ الثـــا ... قبِ والباعِ والكريمِ النجيبِ
إن تصبكَ المنونُ فالنبلُ تترى ... فمصيبٌ منها وغيرُ مصيبِ
كل حيٍّ وإن تملّـــى بعمرٍ ... آخذ من مذاقِـــها بنصيبِ

يأمر عليه السلام أبنه طالب بالصبر في الذود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبينا أن الصبر هو أهم سمة من سمات العاقل وذلك أن الصابر وغيره مصيرهما الموت غير أن الصابر يختلف عن غيره بأنه مات في سبيل مبدأه فهو محمود من قومه راضٍ عن نفسه لكونه قد أدى واجبه أما غيره فقد سخط عليه قومه بالإضافة إلى سخطه على نفسه ثم يوضح عليه السلام أن التضحية بالأبن هي من الأمور الصعبة على النفس غير أن الأمر في شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يختلف لكونه صلى الله عليه وآله وسلم هو الحبيب وابن

الحبيب وهو يفصح هنا عن أمر جد هام أشارت اليه بعض الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين [1] . ثم يبدي بعض أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه الأغر ذي الحسب الذي لا يجارى وأنه صاحب الباع وهو الكريم، وبعد ذلك يهدئ من روع ابنه بأن الموت والحياة لا يخضعان لركوب الأهوال والتعرض للبلاء فقد يصيب الموت من يتعرض لذلك وقد يخطئه ثم يختم نصحه لولده بأن الموت غاية كل حيّ مهما طال عمره وبعد أجله سيذوقه على نحو الحتم والجزم وهذا الشطر من البيت على وزان قوله تعالى (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) الجمعة – الآية ٨

وقال عليه السلام:

لا يمنعنكَ من حقٍ تقومُ به ... أيدٍ تصولُ ولا سلقٍ بأصواتِ
فأنّ كفّكَ كفي إن أصبتَ بها ... ودون نفسكَ نفسي في المُلماتِ

يظهر عليه السلام العزيمة في دفاعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه مهما تجمعت القدرات او قيل فيه من أقوال فإن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا يلتفت إلى

١ - كنز العمال : ج١ص٣٧ حديث ٧٠

ذلك، والبيت على وزان قوله تعالى (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) الحجر - الآية ٩٤ ثم يظهر أن كف النبي ﷺ هي كفه بمعنى أنه سيتلقى الأذى عنه بل أنه سيقيه بنفسه إن تعرض لملمة .

وقال عليه السلام:

أبنيَّ طالبُ إن شيخَكَ ناصحٌ ... فيما يقولُ مسددٌ لكَ راتقُ
فاضربْ بسيفِكَ من أرادَ مساءَةً ... حتى تكونَ له المنية ذائقُ
هذا رجائي فيكَ بعد منيتي ... لا زلتُ فيكَ بكلِ رُشدٍ واثقُ
فاعضدْ قواهُ يا بنيَّ وكُن له ... أنّى يجدكَ لا محالةَ لاحقُ
كهلاً أرددُّ حسرةً لفراقهِ ... إذ لا أراهُ وقد تطاولَ باسقُ

هذه وصية لطالب ابنه يبدي فيها النصح والتسديد له ويبين أنه راتق لأي فتق يحتمل ويحضه بأن يجاهد من يسئ إلى النبي ﷺ بل يرديه ميتا لئلا يقف في وجه الدعوة له ﷺ وبعد ذلك يفصح عن رجائه في ابنه وتوسمه فيه للرشد ووثوقه بذلك، من هنا يامره لأن يكون عضدا له ولو قدر له أن يتباطئ في ذلك فعليه ان لا يتوانى بل يكون له لاحقا ثم يظهر الحسرة لفراق النبي ﷺ لكونه يعلم أنه سيموت قبله .

وقال عليه السلام:

إن عليـــاً وجعفراً ثقتي عند احتدامِ الأمورِ والكربِ
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخـــذلُ النبي ولا يخذله من بنـــيّ ذو حسبِ

يوصي هنا جعفرا وعليا مبينا ثقته بهما خصوصا عند احتدام الأمور وشدة الكرب بالنصرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدم التخاذل في ذلك ، ثم يوضح أنه لن يخذل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولن يخذله من أبنائه من كان له حسب.

وقال عليه السلام:

اخرج فإنك الرفيع كعباً والمنيع حزباً والأعلى أباً .. والله لا يسلقك لسان إلاّ سَلَقَتْهُ ألسن حداد، واجْتَذَبَتْهُ سيوف حداد، والله لتذلنّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها .[1]

يضع عليه السلام النقاط على الحروف بتبيانه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الأرفع والأمنع ويريد عليه السلام بذلك الرفعة المعنوية لكونه يعلم بمكانة

[1] الغدير - الشيخ الأميني - ج ٧ - الصفحة ٣٤٨

النبي ﷺ وأما المناعة فذلك من خلال دفاعه عليه السلام هو مع أبنائه عن النبي ﷺ، ثم يبين عليه السلام أن التصدي للدفاع عن النبي ﷺ في مقامين:

❶ المقام الأول | المقام الإعلامي :

وذلك بدحض كلام المتعرضين للنبي ﷺ بسوء ورد أباطيلهم (والله لا يسلقك لسان إلاّ سَلَقَتْهُ ألسن حداد) .

❷ المقام الثاني | مقام التضحية عنه ﷺ بالنفس والأولاد:

(واجْتَذَبَتْهُ سيوف حداد) ثم يوضح عليه السلام علمه بتأييد الله تعالى للنبي ﷺ بحيث يخضع الجميع له ﷺ كخضوع البهم لحاضنها وهو تشبيه دقيق يشير فيه إلى أن من آمن بالنبي ﷺ سينقاد إليه مسلما له لكونه مؤمنا برسالته وهو في النتيجة على وزان قوله تعالى (فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء - الآية ٦٥

ولعل أبرز مظاهر دفاع أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ هو ما يطلق عليه في عصرنا الحديث بدفاع الردع من خلال إظهار القوة القادرة على الفتك بالعدو وهو ما قام به أبو طالب في إرهاب الأعداء

فقد افتقد النبي ﷺ ذات يوم فأصبح فطلبه في مظانه فلم يجده، فجمع ولده وعبيده ومن يلزمه في نفسه، فقال: إن محمّداً فقد في أمسنا ويومنا هذا ، ولا أظن إلاّ أن قريشاً قد اغتالته وكادته ، وقد طلبته فلم أجده، وقد بقي هذا الوجه ما جئته وبعيدٌ أن يكون فيه ، ثمّ أعطاهم السكاكين وفيهم من عبيده عشرون رجلاً، ثمّ قال لهم: ليمضي كل رجل منكم وليجلس إلى جنب سيّد من سادات قريش، فمضوا وشحذوا سكاكينهم، ومضى أبو طالب عليه السلام في الوجه الذي أراده ومعه رهط من قومه وهو يقول: يا لها من عظيمة إن لم نواف محمّداً، فوجده في أسفل مكّة قائماً يصلي إلى جانب صخرة، فوقع عليه أبو طالب يقبله، وأخذ بيده وقال: يا بن أخي سر معي، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة، فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي ﷺ قالوا: هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمّد وإن له لشأناً، فلما وقف عليهم والغضب يُعرف في وجهه قال لغلمانه: أبرزوا ما بأيديكم، فأبرز كل واحد منهم ما في يده، فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب؟ قال: هو ما ترونه، إني طلبت محمّداً ﷺ فما رأيته منذ يومين، فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم إن

جئت وما محمّد معي فليضرب كل واحد منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولو كان هاشمياً، فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ قال: أي وربّ هذه البنيّة ، وأومئ إلى الكعبة ، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وكان من أحلافه : لقد كدت أن تأتي على قومك، قال: هو ذاك. فانتفت قريش اغتياله ﷺ منذ ذلك اليوم، ورجعت على أبي طالب بالاستعطاف وهو لا يحفل بهم .

وفي هذه الواقعة ما يدلل على حنكة ابي طالب وشدة حياطته وحزمه في الأمور وتخطيطه الدقيق لدرء الاخطار المستقبلية .

◆ الثالث | جهاد الحكمة :

ويكمن ذلك من خلال ممارسة أبي طالب عليه السلام كتمان إيمانه، فلم يجهر بإعلان الإيمان إلا في الشعر وعند المقربين الذين آمنوا بالنبي ﷺ وصدقوا بدعوته، ولهذا تحقق لأبي طالب عليه السلام ما أراده من التوازن في التعامل مع المجتمع القرشي الذي يعادي النبي ويحاربه ويقضي على أتباعه، وإثبات استقلالية شخصيته، وأن ما يدعو المجتمع القرشي إليه لم يكن ينطلق من كونه من أتباع

محمد ﷺ ، بل من خلال أن الدعوة التي جاء بها النبي والمبادئ التي يريد أن يرسيها هي الأفضل والأحسن بالنسبة للمجتمع من قريش، فمارس الدور الذي مارسه مؤمن آل فرعون عندما دعى أصحابه إلى الله تعالى دون أن يؤاخذوه، لأنه كتم إيمانه وأظهر لهم حقانية دعوة موسى عليه السلام، بمعنى أنه ظهر لهم بالمظهر الناصح لهم والمشفق عليهم، وهكذا كان أبوطالب عليه السلام، وأراد من ذلك أن يحافظ على شخصيته ليتأتى له الحفاظ على النبي ﷺ والدعوة إلى الإسلام، وقد نجح في ممارسته لهذا الدور نجاحاً باهراً.

قال عليه السلام:

أفيقوا بني غالبٍ وانتهوا عن البغي في بعضِ ذا المنطقِ
وإلّا فإني إذاً خائفٌ بوائقَ في داركم تلتقي
تكونُ لغيركم عبرةً وربِّ المغاربِ والمشرقِ
أما نال من كان من قبلكم ثمودٌ وعادٌ فمن ذا بقي
فحلَّ عليهم بها سخطه من الله في ضربةِ الأزرقِ
غداةَ أتتهم بها صرصرٌ ونـاقة ذي العرش إذ تستقي
غداة يعضُّ بعرقوبها حساماً من الهندِ ذا رونقِ

يبين عليه السلام لقومه ضرورة الانتباه ويدعوهم إلى اتباع المنطق والابتعاد عن البغي ويُظهر لهم خوفه عليهم من عذاب الله تعالى الذي حل بالأقوام السابقة كثمود وعاد وأن في ذلك لعبرة لهم بأن من ركب جادة البغي أدت به إلى الهلكة، أما من ركب سبيل الهدى أدى به إلى النجاة والعاقبة الطيبة . والابيات فيها من الحكمة والصواب ما يدعو اللبيب الفطن إلى الأخذ بالحق واجتناب الباطل والاتباع للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال عليه السلام:

وظلمُ نبيٍّ جاء يدعو إلى الهدى وأمرٌ أتى من عند ذي العرشِ قيّمِ

يستنكر هنا ما تقوم به قريش من ظلمٍ للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ويوضح في استنكاره بأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نبي يدعو إلى الهدى وأن دعوته جائية من مليك السماوات والأرض (من عند ذي العرش قيّم) .

وقال عليه السلام:

لله درّكَ إن عرفتَ مكانه في قومهِ ووهبتَ منكَ له اليدا

يخاطب أخاه الحمزة عليه السلام مشيدا به لكونه عرف مكانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسخّر نفسه للدفاع عنه بجميع قواه ثم يبين أن ذلك ناتج من طهارة ذات الحمزة وحسن سريرته لكونه عليه السلام أرتضع حليبا طاهراً (لله درّكَ) .

وقال عليه السلام:

وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصدّيق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به.. وقد جاءنا بأمرٍ قَبِله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن.. وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس، وقد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصغت له فؤادها، وأعطته قيادها.. دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد

بهديه إلاّ سعد، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، و لدافعت عنه الدواهي .[1]

هذه وصية أبي طالب قبل موته لقريش ويُظهر فيها من الحكمة في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عن النبي ﷺ ما يندهش منه العقل من خلال تبيانه عليه السلام أمانة النبي ﷺ وصدقه بل يجعل النبي ﷺ هو المحور لجميع الخير الذي يوصي به أبوطالب (وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به) ثم يبين لهم إيمانه الحقيقي بالنبي ﷺ وكتمانه لذلك الإيمان الذي كانت تقتضيه المصلحة السياسية و الاجتماعية ليتاح له الدفاع عن النبي ﷺ بأريحية ولكي لا تتحدث عنه قريش بسوء فيأمن جانبهم ولعمري لقد اظهر في هذه الالتفاتة ما يدلل على عمق تفكيره وحسن فهمه للأمور ووضعه لنفسه في مركز الدائرة التي يستطيع أن ينطلق منها إلى الاتجاهات المختلفة بانسيابية رائقة ثم يقسم بالله العظيم أن المستقبل للنبي ﷺ وللإسلام لأنه الدين الذي ارتضاه الله للخلق وأنه سيقود العرب إلى الخير إذا اتبعوا الإسلام وسيُنتصرُ على مناوئيه ثم يختم ذلك بدعوته لهم إلى نصرته والدفاع عنه لان من سار على هديه ﷺ

١- الغدير - الشيخ الأميني - ج ٧ - الصفحة ٣٦٦

رشد ومن اتبعه سعد ويختم ذلك بقوله إنه لو مد الله في العمر لما حاد قيد انملة عن نصرته ﷺ والتضحية في سبيله.

◆ الرابع | مكانة أبي طالب عليه السلام وخصائصه:

لأبي طالب عليه السلام خصائص متعددة، استطاع من خلالها وبها أن يحقق مقاصده، وأن يصل إلى أهدافه بنصرة الدعوة الإسلامية، والدفاع عن رسول الله ﷺ ، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، من أهم تلكم الخصائص شجاعته، ويكشف عن هذه الشجاعة ما روي عن رسول الله ﷺ :(لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعانا)[1]

وعن الإمام الصادق يخاطب يونس بن نباتة: (يا يونس .... إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)[2] مما يدلل على قوة شخصيته، وعظيم صبره، وبيعه لنفسه في سبيل الله، إذ لا يكون الشخص من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا إذا كان كذلك.

١ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج١٠، ص٧٨.
٢ بحار الأنوار: ج٣٥، ص١١١.

وعن الإمام الحسن بن علي العسكري (ع): (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً، وشيعة تنصرك علانية فأما التي تنصرك سرا فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب (ع). ثم قال: وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه)[1]، يفصح الإمام العسكري عليه السلام عن الدور الرائد الذي قام به أبو طالب عليه السلام بكتمانه للإيمان، وممارسة الدعوة إلى الإسلام من خلال تبيان مزايا الإسلام العظيمة، وهو الدور الذي قام به مؤمن آل فرعون في دعوته لموسى عليه السلام، ومن الواضح أن هذا الدور لا يقوم به الشخص العادي، وإنما يقوم به من توافرت في شخصيته مزايا متعددة يستطيع من خلالها أن يمارس أدواراً مؤثرة على أكثر من صعيد، فكانت شخصية أبي طالب تتوافر فيها تلك المزايا، وتشتمل على تلك الخصائص التي أثر بها على أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وجلب النفع بها إلى الإسلام، وهذه المعاني لا يتحدث بها أهل البيت عليهم السلام كواقع ملموس فحسب، بل أن من لم يسرِ على سراطهم أدرك هذا المعنى، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: "إني

١ بحار الأنوار: ج٣٥، ١٣٦.

ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة و أعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة فكتبت على ظاهر المجلد :

ولولا أبو طالب و ابنه لما مثل الدين شخصا فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر وأودى فكان علي تماما
فقل في ثبير مضى بعد ما قضى ما قضاه وأبقى شماما
فلله ذا فاتحا للهدى ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبي طالب جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضر إياب الصباح من ظن ضوء النهار الظلاما [1]

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (يحشر أبوطالب (ع) يوم القيمة في زي الملوك وسيما الانبياء(ع)) [2]، وما ذلك إلا لأنه مارس دور الملك المطاع في دفع السوء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجزي بأن يدخل الجنة بالعز والكرامة، وأن يلقى الله بسيماء الأنبياء (ع).

١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤، ص٨٣.
٢ الإمامة والتبصرة - ابن بابويه القمي

"وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطا لهم مع ما سمعوا من شعره وتوحيده وتصديقه للنبي ﷺ ولم يمكنهم قتله والمنابذة له لأن قومه من بني هاشم وإخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف وأحلافهم ومواليهم وأتباعهم، كافرهم ومؤمنهم كانوا معه، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافة، ولذلك قال أبو لهب لها سمع قريشا يتحدثون في شأنه و يفيضون في أمره: دعوا عنكم هذا الشيخ فإنه مغرم بابن أخيه، والله لا يقتل محمد حتى يقتل أبو طالب، ولا يقتل أبو طالب حتى تقتل بنو هاشم كافة، ولا تقتل بنو هاشم حتى تقتل بنو عبد مناف، ولا تقتل بنو عبد مناف حتى تقتل أهل البطحاء، فأمسكوا عنه وإلا ملنا معه فخاف القوم أن يفعل فكفوا، فلما بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته فقال ابياتا يستعطفه فيها ويرققه"[1].

يبين أبو لهب هنا وهو العدو اللدود للمصطفى ﷺ حب أبي طالب عليه السلام له ﷺ وأنه وصل إلى درجة الغرام بمعنى أنه أولع به، ولا يستطيع صبرا على مفارقته لأنه وصل إلى درجة العشق له، ولهذا أردف أنه لن يقتل محمد حتى (يقتل أبو طالب، ولا يقتل أبو

١ إيمان أبي طالب - الشيخ الأميني - الصفحة ٨٥

طالب حتى تقتل بنو هاشم كافة، ولا تقتل بنو هاشم حتى تقتل بنو عبد مناف، ولا تقتل بنو عبد مناف حتى تقتل أهل البطحاء) .

إنه معنى دقيق يفصح عنه أبو لهب وهو أن قتل المصطفى ﷺ سيؤدي إلى هلاك الجميع، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا الوصف لأبي طالب بالرغم من أنه من ألد أعداء الإسلام إلا أنه أبان واقع أبي طالب في شغفه بالنبي ﷺ وإيثاره له على نفسه وتضحيته بكل وجوده في سبيله ﷺ .

◆ الخامس | جهاده عليه السلام في تبيان الأسس العقدية لرسالات الأنبياء عليهم السلام:

والذي تمحور في التأكيد على التوحيد لله تعالى وضرورة وجود أنبياء يمثلون همزة الوصل بين الحق والخلق، والمعاد بمعنى الإيمان باليوم الآخر، وحشر الخلق إلى الله تعالى، وقد أبدع عليه السلام في إيضاح وتفسير هذه المفاهيم العقدية من خلال بلاغته في شعره وحكمته في بيانه، وعمق إيمانه وذوبانه في الله تعالى، ومن قرأ شعره وكلماته أدرك حلاوة الإيمان، فقد وصل عليه السلام إلى برد اليقين،

وتجلت له المعاني الواردة في آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المعاد والرسالات السماوية والتوحيد الحق.

التوحيد عند أبي طالب عليه السلام

قال عليه السلام:

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم

من الواضح أن رسالات الأنبياء تعتمد على أسس وركائز من أهمها التوحيد لله تعالى وقد صدحت آيات القرآن الكريم بتبيان التوحيد قال تعالى (فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) محمد - الآية ١٩ . وهذا الأمر الارشادي يلفت انتباه الانسان إلى ضرورة التوحيد وأن العلم بذلك هو الركيزة الأولى والمبدأ العقدي الأهم في مسار الإنسان إلى الله تعالى، وقد أبان أبو طالب هذا المعنى في قوله (فلا تجعلوا لله ندا) أي آمنوا بالتوحيد وأسلموا لله تعالى .

قال عليه السلام:

مليكُ الناسِ ليس له شريكٌ هو الوهّابُ والمبدي المعيدُ
ومن تحتَ السماءِ له بحقٍ ومن فوقَ السماءِ له عبيدُ

يبين عليه السلام هنا أن الله تعالى هو المتصف بصفات الكمال وهو مالك الملك ليس له شريك في ملكه وشطر البيت الأول على حد

قوله تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) آل عمران - الآية ٢٦ . ثم يردف قائلا: إن الله تعالى هو الوهاب بمعنى أن عالم الوجود بشراشره منه تعالى، وكلامه هنا على حد ما جاء في قوله تعالى (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) النحل - الآية ٥٣ وأن الله تعالى هو المبدي للوجود وإبداء الوجود ههنا يُظهر به معنيين أحدهما أنه المبدع له بمعنى أنه تعالى أوجد عالم الوجود لا من شيء، والثاني أن الله تعالى قبل القبل فلا قبل قبله ثم يتم هذه الصفات الكمالية لله تعالى بأنه تعالى مالك لعالم الوجود بالملكية الحقة (ومن تحتَ السماءِ له بحقٍ) أي أن ملكيته تعالى ليست اعتباريه كملكية الإنسان لأمواله ويختم البيت بتبيان أن الملائكة هم عبيد لله تعالى (ومن فوقَ السماءِ له عبيدُ) وهذا الشطر على حد قوله تعالى (بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) الأنبياء - الآية ٢٧ .

عبادة أبي طالب عليه السلام لله تعالى

ويكفينا في ذلك ما رواه الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام في أبي طالب وعبد المطلب وهاشم و عبد مناف عليهم السلام: « والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطّلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ»، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: (كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم متمسّكين به) [1]. وكلامه عليه السلام إيضاح وتفسير لقوله تعالى (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) الشعراء - الآية ٢١٩

النبوة عند أبي طالب عليه السلام

قال عليه السلام:

ألمْ تعلموا إنّا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خُطّ في أولِ الكُتبِ

يوضح عليه السلام في هذا البيت النبوة العامة وأن الله تعالى جعل بينه وبين خلقه وسطاء هم الرسل والأنبياء عليهم السلام وأن هذا الامر من الأمور التي كتبها الله على نفسه واخبر بها انبيائه ورسله، ومن

[1] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٥ - الصفحة ٨١ -كمال الدين ص ١٠٤، والشيخ أبو الفتوح في تفسيره ٤: ٢١٠، والسيد في البرهان ٣: ٧٩٥.

أولئك الأنبياء والرسل الذين قضى الله تعال ان يكونوا همزة وصل بين الحق والخلق هم محمد ﷺ وموسى عليه السلام وقد ابان عليه السلام حقيقة النبوة العامة وضرورتها في بيت آخر بقوله:

تَعَلّم خيارَ الناس أن محمدًا وزيرٌ لموسى والمسيح بن مريم

ويوضح في هذا البيت أن محمد ﷺ سائرٌ على نفس مسار الكليم والمسيح وهو مسار الوساطة بين الحق والخلق، ويبين أيضا مبدأ النبوة العامة وأن محمداً ﷺ من الأنبياء والرسل الذين يرسلهم الله تعالى لهداية الخلق فيقول:

وعرضت دينا قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا

أي أن ما جاء به المصطفى ﷺ هو دين من الأديان السماوية الذي ارتضاها الله تعالى لعباده غير أنه هو الأفضل والاكمل الاتم.

قال عليه السلام:

وخير بني هاشم أحمـــــد رسول الإله على فتـــرة

أي أن الرسالات السماوية تأتي كل رسالة منها بعد برهة زمنيه تطول في بعض الأحيان وهو ما يعبر عنه (بالفترة)، وقد جاء هذا التعبير في القرآن الكريم، قال تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

المائدة – الآية ١٩ •

أما ما يخص نبوة المصطفى ﷺ في كلماته وشعره فهو غاية في الوضوح والتدليل على النبوة الخاصة التي أصطفى بها الحق تعالى أفضل الخلق لعباده،

قال عليه السلام:

لقد أكرمَ اللهُ النبيّ محمداً فأكرم خلقِ اللهِ في الناسِ أحمدُ

وهو يفصح هنا عن الإجتباء والاصطفاء للنبي ﷺ وأن ذلك كان بعلم من الله تعالى لكون النبي محمد ﷺ هو أكرم الخلق وهو الأحمد عند الله وهذا البيت على وزان قوله تعالى (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) الأنعام – الآية ١٢٤ بمعنى أنه تعالى يختار كل نبي لخصائص تتوافر في ذاته دون غيره من الناس ويفضل بعضهم على

بعض لميزات ذاتية قال تعالى (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) البقرة - الآية ٢٥٣ وقد اختار محمد ﷺ لأنه أفضل الرسل فأكرمه واصطفاه، وقال عليه السلام في هذا الشأن:

نبيٌّ إلهي والــكريمُ بأصلهِ وأخلاقِه وهـو الرشيدُ المؤيّدُ
وشقَّ له من اسمه ليجلّه فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

فأوضح عليه السلام في البيت الأول أن النبي ﷺ كريم الأصل اتصف بالرشد والتأييد الإلهي وكانت اخلاقه عظيمة، وقد أبان الذكر الحكيم عظمة خلق النبي ﷺ في مدحه والثناء عليه والاشادة بأخلاقه، قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم - الآية ٤ .

اما البيت الثاني فأفصح فيه عن العناية الإلهية لمحمد ﷺ حيث كرمه الله تعالى فجعل اسمائه ﷺ من أسمائه تعالى .

قال عليه السلام:

ظهرت دلائــلُ نورهِ فتزلزلت منها البسيــطةُ وازدهت أيامُ

أي أن نبوة النبي ﷺ دللت عليها دلائل متعددة وكثيرة وهي كالنور الثاقب الذي استطاع أن يزلزل الأرض ويحقق العاقبة الطيبة بازدهار أهلها.

وقال عليه السلام:

موضحا يقينه وإيمانه بصحة ما جاء به محمد ﷺ وأنه من المتبعين له والسائرين على هديه:

يا شاهد الله علي فاشهـــد أني على دين النبي أحمد

أي ليشهد الجميع بأنه مؤمن بما جاء به النبي ﷺ ومصدق بذلك، ولعل ما أوضحه في وصيته عليه السلام من أبلغ القول في هذا الصدد حيث قال عليه السلام: (أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصدّيق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به.. وقد جاءنا بأمرٍ قَبِله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن).

أي أن ايمانه اتخذ طابع السرية والكتمان ليتاح له بذلك الدفاع عنه والذود عن دينه ﷺ.

قال عليه السلام:

وظلمُ نبيٍّ جـاء يدعو إلى الهدى وأمرٌ أتى من عند ذي العـرشِ قيّمِ

أي أن كل من لم يقبل بدعوة هدى فهو ظالم لنفسه وظالم للمصطفى ﷺ لأن دعوته هي دعوة الحق تعالى لعباده (وأمرٌ أتى من عند ذي العـرشِ قيّمِ).

قال عليه السلام:

ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: (إن من صلبي لنبيّاً، لوددت أني أدركت ذلك الزمان، فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به)،

يوضح في هذا النص أن النبي ﷺ بشرت به الكتب السماوية، وأن آباءه وأجداده يعلمون بذلك، لأنهم يقرأون تلك الكتب ويصدقون بها، وهذا ما أخبر به القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) الصف: آية ٦

المعاد عن ابي طالب عليه السلام

قال عليه السلام:

مليكُ الناسِ ليس له شريكٌ هو الوهّابُ والمبدي المعيدُ

يرتب أبوطالب عليه السلام المعاد هنا على دليل قاطع هو أن الله تعالى مالك الملك وهو الواحد الاحد الذي ليس له شريك، وقد أبدع هذا الوجود وافاض جميع النعم ومقتضى حكمته هو إعادة الخلق لكونه هو المبدي له والواهب للنعم التي لديهم

وقال عليه السلام:

أتراهُ يشفعُ لي ويرحمُ عبرتي هيهاتَ إني لا محالةَ زاهقُ

يوضح عليه السلام في هذا البيت المعاد والشفاعة للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى أن الخلق يؤول امره الى الله تعالى وهو (لا محالة زاهق) ولا نجاة للخلق الا بشفاعة سيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن أبا طالب يرجو من الله تعالى أن يجعل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يشفع له ويرقّ عليه راحما لعبراته التي اجراها تعبدا لله تعالى ورأفة بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

أبو طالب عليه السلام ومكارم الاخلاق

روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: "ساد أبي فقيراً، وما ساد فقير قبله".

بين الإمام عليه السلام أن والده ساد الناس بالرغم من قلة ذات يده، وأنه لا يتأتى ذلك لأحد إلا إذا توافرت فيه صفات ينفرد بها عن غيره، ولعله عليه السلام يشير إلى ما جاء في الذكر الحكيم في وصف ذلك الملك الذي اختاره الله لنصرة بني إسرائيل، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) البقرة: آية ٣٤٧، بمعنى أن سيادة أبي طالب لا ترجع إلى بعض الاعتبارات العرفية، وإنما لخصائص انفرد بها عن أبناء مجتمعه.

وقد قيل في سخائه وكرمه: "إن قريشاً كانت تطعم، فإذا أطعم (أبو طالب) لم يطعم يومئذٍ أحد غيره" وذلك يدلل على جوده وكرمه وسعة سخائه وعدم خوفه من الفقر رغم قلة أمواله، وإذا أيقن المؤمن بالخلف جاد بالعطايا، وكان عليه السلام يجسد العدل بين الناس، فهو أَوّلَ من سن القَسَامَةِ على أولياء المقتول - في الجاهليّة في دم عمرو بن علقمة، ثم أثبتتها السنة في الإسلام، أي أنه جعل دية المقتول خطأً

مائة من الإبل، وبذلك منع مقابلة القتل الخطأ بالقتل العمد، وأدى الدية إلى أهل المقتول إرساءً للعدل.

استقامته عليه السلام على سراط الحق

ويتجلى ذلك في تحريمه للخمر على نفسه، تبعاً لأبيه عبدالمطلب ولأجداده العظماء، ليصون عقله ويبتعد عن الزيغ، قال الحلبي في السيرة: "كان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب" السيرة الحلبية: -ج ١ - الصفحة ١٨٤، وقد ظهر كرمه وبان جوده قبل البعثة في مكة بتوليه منصبي الرفادة (ضيافة الحجيج) والسقاية (سقاية الماء إلى الحجاج)، وذلك ما يظهر أنه نذر نفسه لله تعالى ببذله ما لديه من مال في سبيله وفي خدمة ضيوف بيته العتيق.

أبوطالب عليه السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال عليه السلام:

أفيقوا بني غالبٍ وانتهوا عن البغي في بعضِ ذا المنطقِ

يأمر بني قومه بالصحوة والإفاقة، وهي هنا بمعنى التذكرة لهم، ناهياً إياهم عن ارتكاب البغي لمجانبته للصواب، وبُعده عن المنطق، ثم يوضح النتيجة بقوله:

وإلاّ فـــإني إذاً خائفٌ بوائقَ فـــي داركم تلتقي
تكونُ لغيـــركم عبرةً وربِّ المغـــاربِ والمشرقِ

وبعد ذلك يذكرهم بالأمم السابقة وما حل بها من عقاب الله تعالى، كقومي عاد وثمود، فيقول:

أما نال من كان من قبلكم ثمـــودٌ وعادٌ فمن ذا بقي
فحلَّ عليهم بها سخطه من الله فـــي ضربةِ الأزرقِ
غداةَ أتتهم بها صرصرٌ ونـــاقة ذي العرش إذ تستقي
غداة يعضُّ بعرقـوبها حســـاماً من الهندِ ذا رونقِ

وهو نفس ما جاء في قوله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا) الشمس: آية ١٤

الصبر وتحمل الأذى في سبيل الحق

قال عليه السلام ناصحاً لابنه طالب:

اصبرن يا بني فالصبرُ أحجى كل حيٍّ مصيـرُه لشعوبِ

أي أن الصبر هو ما يدعو إليه العقل ويستحسنه رغم تحمل الأذى الذي قد يوصل الإنسان إلى أن يموت في سبيل مبادئه، ولهذا يوضح عليه السلام بأن الصبر وإن استلزم الموت الذي لا مفر منه فإن ذلك لا يضير، لأن الجميع سيلقى الموت شاء ذلك أم أبى (كل حي مصيره لشعوب).

ويوصي الحمزة أيضاً بصدق العزيمة وحياطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصادق بالدعوة الحقة، فيقول:

وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق عزم لا تكن حمز كافرا

أبوطالب عليه السلام والمقامات المعنوية

تمهيد:

لكل شخص ظاهر وباطن ، ظاهره يعرف من خلال كلماته وتصرفاته مع الناس ، فأقواله وافعاله تكشف في الاعم الاغلب عن شخصيته ، أما واقع شخصيته فلا يعلم به إلا الله والراسخون في العلم الذين ارتضى الله تعالى أن يطلعوا على بعض خفايا الانسان.

وقد اخبر الحق تعالى عن ذلك في شأن عيسى عليه السلام قال تعالى (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) آل عمران - الآية ٤٩ فهو عليه السلام يعلم بأمور مضمرة وغير ظاهرة لأن الله تعالى اطلعه على ذلك واذن له به برهانا لنبوته ودليلا قاطعا على رسالته عليه الإسلام ، وقد اعطى الحق تبارك وتعالى ذلك لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته عليهم السلام فهم عدل القرآن كما جاء في حديث الثقلين وهم المطهرون كما اخبر بذلك الذكر الحكيم قال تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الأحزاب - الآية ٣٣ وقال تعالى في التدليل على علمهم بالكتاب الجامع لكل المعارف (لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) الواقعة - الآية ٧٩ أي لا يحيط بعلمه الا من اجتباهم الله وطهرهم ولهذا يكون

اخبارهم حجة يكشف عن الواقع الذي قد لا يدرك من خلال الظاهر ، وقد كشفت لنا الروايات عن بعض المقامات المعنوية لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب الائمة من اهل البيت عليهم السلام ، روي (سلمان منا اهل البيت) [1] وروي أن (سلمان خير من لقمان)[2] وهذه المنزلة غاية في الرفعة تفصح عن قرب سلمان من الله تعالى وهكذا ورد عن الامام الرضا عليه السلام في زكريا بن آدم رحمه الله : (إن الله يدفع البلاء بك عن أهل قم كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسى بن جعفر عليهما السلام) [3] وهذه المنزلة الرفيعة التي كشف عنها الرضا عليه السلام لا يستطيع غير المعصوم عليه السلام ان يميط اللثام عنها ، اذن هناك مقامات معنوية لبعض الشخصيات كشفت عنها الروايات وقد كان أبوطالب عليه السلام له مقامات معنوية كبيرة بينت في روايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة من أهل البيت عليهم السلام .

[1] أخرجه الطبراني، والحاكم في "مستدركه"، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصَّحابة"، والبيهقي في "دلائل النبوة
[2] بصائر الدرجات: ٦.
[3] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٧ - الصفحة ٢٢٠

١ المقام الأول | مقام حق اليقين في الايمان:

وهو مقام الصديقين الذي بلوره صدر المتألهين رحمه الله وغيره من الحكماء طبقا لما جاء في الروايات والادعية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة من أهل البيت عليهم السلام كدعاء أبي حمزة عن الامام زين العابدين عليه السلام (بِكَ عَرَفْتُكَ، وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ ودَعَوْتَنِي إِلَيْكَ، وَلَوْلا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ ما أَنْتَ) ودعاء عرفه عن الامام الحسين عليه السلام (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك .. .. متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك) وقد أوضح هذا المقام لأبي طالب عليه السلام في بعض الروايات فعن الإمام الباقر عليه السلام : (لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه على إيمانهم) [١] وفي رواية أخرى بينت أن الله تعالى آتاه أجره مرتين لكونه كتم ذلك الايمان للدفاع عن الدين و حياطته فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين) [٢] . ولعل هذه الرتبة هي التي ذكرت للإفصاح عن مقامه بأنه مقام النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، روي عن الامام الصادق عليه السلام مخاطباً ليونس بن نباتة:

---

[١] إيمان أبي طالب - الشيخ الأميني - الصفحة ٦٩

[٢] أصول الكافي (ص ٢٤٤) - شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد ج ٣ ص ٣١٢ طبع ١ و ج ١٤ ص ٧ الطبع الثاني

(إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)[1] .

② المقام الثاني | مقام من باع نفسه على الله :

وهو مقام شامخ أبانه الحق تعالى في الذكر الحكيم قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة - الآية ١١١ وقد كشفت عن هذا المقام لأبي طالب عليه السلام رواية وردت عن الامام العسكري عليه السلام (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله (ص) إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً، وشيعة تنصرك علانية فأما التي تنصرك سرا فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب (ع). ثم قال: وإن أبا

[1] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٥ - الصفحة ١١١

طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه) والرواية توضح أنه الناصر البائع نفسه على الله بل أنه الأفضل بمعنى أنه تسنم ذروة هذا المقام.

❸ المقام الثالث | مقام النورانية :

وقد بين هذا المقام في القران الكريم قال تعالى (نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) التحريم - الآية ٨ وقد بلغ أبوطالب عليه السلام المقام الاسمى منه ففي خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجابر قال (لما كانت الليلة التي أسري بي فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار فقلت: إلهي ما هذه الأنوار؟ فقال: يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا عبد المطلب وهذا عمك أبو طالب وهذا أبوك عبد الله وهذا أخوك طالب) [1] .

وهناك بعض المقامات المعنوية التي وردت على نحو الاجمال ولعل في ذلك سر لم تفصح عنه الروايات ، روي عن علي عليه السلام (إِنّ أَبِي حين حضرهُ الموْت شهدهُ رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فأَخبرني فيه بشيْءٍ أَحبّ إِليّ من الدُّنْيَا وما فيها) [2] .

[1] روضة الواعظين: ج ١ ص ٧٦ - ٨١
[2] رواه بإسناده السيد فخار بن معد في كتاب الحجة (٤) (ص ٢٣)، وذكره الفتوني في ضياء العالمين

4 المقام الرابع | مقام الحب لله ولرسوله ﷺ

وهو مقام عظيم كشفت عنه آيات القرآن الكريم قال تعالى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) المائدة - الآية ٥٤ وقال تعالى (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آل عمران - الآية ٣١ . وروي عنه ﷺ في دعوته لعلي عليه السلام لفتح خيبر : (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه) [1] ونلحظ في الحديث النبوي أنه ﷺ أعطى هذا الوسام وهو الحب لله ولرسوله ﷺ لعلي عليه السلام مما يدلل على عظمة هذا الوسام وكون المعطى قد بلغ الذروة في كماله الروحي والمعنوي ، ولاشك أن الحب من المفاهيم المشككة وقد حاز عقيل عليه السلام مقاما ساميا كما أن أبا طالب عليه السلام قد حاز على مقام سامق كشف عنه المصطفى ﷺ إذ أنه يحب من يحبه أبو طالب عليه السلام وذلك يعني أن أبا طالب عليه السلام لا يحب إلا من يحبه الله ورسوله ﷺ ، إذن عندما يفصح النبي ﷺ بقوله (إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبًّا

[1] المفيد، الأمالي ص ٥٦ . صحيح البخاري ج٥ ص ١٧١ . صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ و ١٢١ و ج ٥ ص ١٩٥ . مسند أحمد ج ١ ص ٩٩ و ١٨٥ و ج ٥ ص ٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨.سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٦ . سنن للترمذي ج ٥ ص ٦٣٨ .

لِقَرَابَتِكَ، وَحُبّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيّاكَ) [1] فذلك يكشف أولا عن حب الله تعالى له وثانيا عن كون ذلك المحبوب يتصف بالحب لله ولرسوله ﷺ ، إذا أن النبي ﷺ لا يحب إلا من أحبه الله ، والحديث من غرر الاحاديث الكاشفة عن عظمة ابي طالب عليه السلام وعن المكانة الرفيعة لعقيل عليه السلام .

فسلام على أبي طالب يوم ولد ويوم مات ويوم يحشر مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

حسين العايش

١٤٤٢/٥/٢٩هـ

١ الطبقات الكبرى-الطبقة الثانية-رقم الحديث ٤٦٤٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ /٢٥٠ - -بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٢ - الصفحة ١١٥ - المستدرك على الصحيحين - كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ